

## الكندى و آروه الفلسفيه

### (٤)

— للدكتور عبدالرحمن شاه ولى

### ” عقيدته الاسلاميه ”

مر بنا فى روايه ابن حزم أن فيلسوفنا قد ولد فى بيت عربى مسلم، وكان أبوه شاعرا متكلمًا مرجئًا، وهذا مما يبين لنا بوضوح علاقته الطبيعية بعلم الكلام من أول نشأته، ثم اننا نعلم أن الكوفة كانت مسقط رأسه، والعراق عامة كان موطن الشيعة، والكوفة خاصة كانت مركزا من أهم مراكزها ومعقلا من أعظم معاقلها فى عصر الكندى وعلى مر العصور، ومن هنا كان لا بد من تأثيره بالمذهب الشيعى، وعلاقته به فى أية صورة من صور التأثير، ويزداد هذا الاحتمال قوة اذا قرأنا فى كتب التاريخ أن جده الأشعث سكن الكوفة وبنى فيها دارا لنفسه، واستعمله الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان على أذربيجان عام ٥٢٦هـ، وكان واليا عليها الى عهد الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه، فاستدعاه الى بيعته فاجابه، ثم جعله على سيمنة الجيش يوم صفين، وأدى خدمات جليلة فى شيعة سيدنا على بن أبى طالب، ونستطيع أن نفهم مدى حبه لعلى رضى الله عنه، وعلاقته الوثيقة به من رده على عتبة بن أبى سفيان، اذ قال له: ”انك رأس أهل العراق، و سيد أهل اليمن، وقد سلف من عثمان اليك ما سلف من الصهر، والعمل، فاجابه الأشعث: أما قولك انى رأس أهل العراق، و سيد أهل اليمن، فان الرأس المتبع، والسيد المطاع، هو على بن أبى طالب، وأما ما سلف من عثمان

الى فو الله ما زادنى صهره شرفا، ولا عمله عزا، وشاع فى أهل العراق ما قاله  
عتبة للأشعث، وما رده الأشعث عليه، فقال النجاشى يمدحه :

يا ابن قيس و حارث و يزيد أنت و الله رأس أهل العراق  
أنت والله حية نثفت السم قليل منها عناء الراقى  
أنت كالشمس والرجال نجوم لا يرى ضوءها مع الاشراف  
قد حميت العراق بالأسل السمر و بالبيض كالبروق الرقاق (١)

و كما توضح لنا هذه الرواية مدى علاقة بيت الكندى بشيعة سيدنا على  
بن أبى طالب، كذلك تبين لنا مدى عراقية هذا البيت فى المجد والسؤدة على  
من العصور، و كما تشير هذه الرواية الى أن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله  
عنه تزوج بنت الأشعث-(٢) كذلك من المعروف أن سيدنا الحسن بن على رضى  
الله عنه تزوج أيضا بنته وهى التى سمتته - و يؤيد تشييعه أسلوبه فى انهاء أكثر  
الرسائل بقوله : والصلوة على رسوله محمد وآله أجمعين، و هذا أسلوب شيعى  
معروف، و بعد أن عرفنا علاقة بيته بالشيعية، و نشأته بالكوفة، لا نستطيع تكذيب  
ما يقوله السيد ابن طاووس "و قيل إنه من علماء الشيعة الشيخ الفاضل يعقوب  
بن اسحاق الكندى-،، (٣) وقول صاحب الذريعة أنه "من علماء الشيعة  
العارفين-،، (٤) ولكنه لم يكن من غلاة الشيعة بل كان زيديا كما ذكره  
أحمد بن النظيم السرخسى-(٥) و تعتبر الزيدية من أصول الشيعة و هم يتفقون

(١) الكندى فيلسوف العرب الأول للأستاذ محمد كاظم الطريحي ص ٣١ - ٣٢

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٩٦

(٣) فرج الهموم فى تاريخ النجوم ص ١٢٨

(٤) الذريعة ان تصانيف الشيعة ص ٣٧٧ ج ١

(٥) الكندى فيلسوف العرب الأول ص ٥٦

مع المعتزلة في أصول الدين - (١) و من هنا تبدأ علاقته بالمعتزلة و تأثيره بالاعتزال أو اعتناقه هذا المذهب أمر له مبرراته، حيث أنه عاش في عصر رسمية الاعتزال، و حول من كان يضطهد من حاد عن هذا المذهب، و محنة الامام أحمد بن حنبل كانت في عصر الماسون، و هذا مما يسود صفحة تاريخ هذا الخليفة الحكيم، و من أخطائه الكبرى رسمية الاعتزال و اضطهاد غير المعتزلة -

و من المعروف أن المعتزلة استطاعوا استمالة ثلاثة من خلفاء العباسيين الى الاعتزال و تاييده، وهم : الماسون، و المعتصم بالله، و الواثق بالله، و قد كانوا يمتحنون القضاة و الفقهاء و المحدثين في عقائدهم، فاذا وجدوا أحدا منهم لا يؤمن بمعتقدات المعتزلة اعتبروه غير صالح للقضاء، لأن القضاة يتقبلون الشهادة، و اسلام من لا يعتنق الاعتزال فاسد بزعمهم، فلا تكون الشهادة مقبولة عند قاض غير معتزله و بالتالي لا يصلح للقضاء، لأن من شروطه الاسلام -

و قد كتب الماسون الى اسحاق بن ابراهيم رئيس شرطة بغداد، يأمره بامتحان القضاة و المحدثين في القرآن، و من أهم ما جاء في هذا الكتاب : قد عرف أسير المؤمنين أن الجمهور الأعظم و السواد الأكبر من حشود الرعية و سفلة العامة، مما لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله و هدايته. أهل جهالة بالله و ضلالة عن حقيقة دينه، و توحيده و الايمان به . . . و قصرُوا أن يقدرُوا الله حق قدره و يعرفوا كنه معرفته، و يفرقوا بينه و بين خلقه لضعف آرائهم و نقص عقولهم، و ذلك أنهم ساووا بين الله و ما أنزل من القرآن، فاطبقوا مجتمعين، و اتفقوا غير متعاجمين على أنه قديم، أول لم يخلقه الله و يحدثه و يخترعه - ”و يقول في الكتاب الثاني الى رئيس الشرطة،: ”وضا هوا به قول النصارى في

ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز و جل يقول،: "انا جعلناه قرآنا عربيا"، و تاويل ذلك انا خلقناه - ليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حقا في الدين ولا نصيبا من الايمان واليقين . . . وانه لا توحيد لمن لم يقر بان القرآن مخلوق - "ويصف هؤلاء فيقول في الكتاب الاول": فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الائمة، ورؤوس الضلالة، المنقصون من التوحيد حقا، والمخسسون من الايمان نصيبا، وأدعية الجهالة، وأعلام الكذب، و لسان ابليس الناطق في أوليائه - "ثم يامر المامون رئيس شرطة بغداد اسحاق بن ابراهيم : فاجمع بحضرتك من القضاة ، و اقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا اليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون، و تكشيفهم عما يعتقدون في خلق القرآن واحداثه"،-(١)

اتضح لنا من هذه النصوص أن المامون كان يعتبر من لا يكون معتزليا، و يؤمن بقدم القرآن خارجا عن الاسلام، مشركا بالله مثل النصارى بعقيدة تعدد القدساء، و كذلك نرى أن المامون يعتقد بان المؤمنين بقدم القرآن جهلة لا حظ لهم من العلم والمعرفة - ثم يامر بامتحان الفقهاء والقضاة، وكل من ينتسب الى العلم ليكتشف عقيدتهم، ثم يعاقب من كان على خلاف عقيدة المعتزلة - وقد عاش فيلسوفنا في ذلك العصر مقربا الى المامون ذا حظوة عنده، و مؤدبا لابن المعتصم، ولذلك نرى من اللاسقول ألا يمتحنوه ليكشفوا عن عقيدته، ليضعوه في مكانه اللائق به في نظرهم، ولا يحتمل التساهل من جانب المامون تجاه الكندي بعد أن عرفنا تشدده في هذا الموضوع، واضطهاده العلماء ليرغمهم على قبول مبادئ الاعتزال، و هذا مما يؤكد لنا اعتزال الكندي، و يؤكد لنا

أنه لم يذهب في آرائه الكلامية الى ما كان خلاف مبادئ الاعتزال وأصول المعتزلة.

ويزداد يقيننا باعتزاله ” اذا عرفنا أن الكندي ألف في أصول مذهب المعتزلة، وسائله، ثم انه قد أصابه ما أصاب المعتزلة عامة حين رجوع سلطان مذهب اهل السنة في عصر المتوكل-،،(١) و ذلك ”عندما حدث رد الفعل ضد المعتزلة فذف به في السجن-،،(٢) ”وكان المتوكل أمر بضرب الكندي سنة اثنتين وأربعين وسائتين، وكانت خمسين سوطا، فضرب-،،(٣) ثم أننا نعلم أن فيلسوفنا بعد ما تعلم مبادئ القراءة والكتابة انتقل الى البصرة، وكانت البصرة حينذاك مركزا للبحوث العقلية، ”والمناظرات الكلامية في مسائل دينية، و فلسفية متنوعة على يد كبار المعتزلة البصريين-،، ”و تتجلى في هذه الرسائل الفلسفية آثار هذا كله-،،(٤) كل هذا وذاك يبين لنا اعتزاله-،، ثم ان رسائل الكندي تتصل من حيث بعض فيها من آراء بما كان موضع اهتمام متكلمي عصره و بما كان غاية لهم من أبحاثهم-،،(٥)

”ولا تخلو رسائل الكندي من ذكر أمثلة مما كان يذكر عند معالجة مشكلات علم الكلام في عصره، فمن ذلك مثلا ما يذكره في رسالته في العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، يقول الكندي : ”والعلة الفاعلة اما أن تكون قريبة، واما أن تكون بعيدة - أما العلة الفاعلة البعيدة فكالراسي بالسهم حيوانا، فقتله، فالراسي بالسهم هو علة قتل المقتول البعيدة، والسهم هو علة المقتول القريبة،

- 
- (١) مقدمة الرسائل ص ٦ للدكتور عبدالهادي أبو ريذة
  - (٢) الحضارة العربية ص ٢١٤ تأليف جاك - س - ريسلر
  - (٣) الكندي فيلسوف العرب للأستاذ محمد كاظم الطريحي ص ٥٦
  - (٤) مقدمة الرسائل ص ٧
  - (٥) نفس المصدر

فان الراسى فعل حفز السهم، قصدا لقتل المقتول، والسهم فعل قتل الحى يجرحه اياه، و قبول الحى من السهم أثرا بالممارسة-،(١) و نحن نعلم أن المثال الذى يذكره الكندى هنا كثيرا ما يرد فى أبحاث المعتزلة عند معالجتهم مسألة الأسباب والمسببات، و هو المسمى عند هم بالتولد، أعنى نشوء فعل عن فعل آخر-،(٢) وفى رسائل الكندى تعبيرات تشبه تعبيرات المعتزلة مثل فكرة الاصلح، يقول: "و ان هذا من تدبير حكيم عليهم قوى جواد عالم متقن اما صنع، وأن هذا التدبير غاية الاتقان، اذ هو موجب الأمر الاصلح، كالذى قد تبين-،(٣) غير أن الكندى يطبق فكره الاصلح على نظام الكون كله، والمعتزلة يرون وجوب الاصلح للعبد على الله، كما هو مشهور عند هم، ومن مظاهر الاعتزال فى رسائل الكندى، تاويله الفلسفى لآيات القرآن الكريم بالمقاييس العقلية، كما سيتضح لنا ذلك من عرض تفسيره فى فصل البعث، وان تفسيره ليشبه بتفسيرات الجاحظ والنظام أبى الهذيل وغيرهم من كبار المعتزلة-

ومن هذه المظاهر الاعتزالية والافلاطونية الحديثة فى رسائله، مبالغته فى تنزيه البارى، وتوصيفه بصفات السلوب، ويبدو من ذلك أنه يرجع جميع صفات الايجاب الى السلب، يقول: "فقد تبين أن الواحد الحق ليس هو شىء من المعقولات، ولا هو عنصر، ولا جنس، ولا نوع، ولا شخص، ولا عقل، ولا كل، ولا جزء، ولا جميع، ولا بعض، ولا واحد، ولا بالاضافة الى غيره، بل واحد مرسل ولا يقبل التكثير- فالواحد الحق اذن لا ذو هيولى، ولا ذو صورة، ولا ذو كمية،

(١) الرسائل ج ١ ص ٢١٩

(٢) مقدمة الرسائل ص ٧

(٣) الرسائل ج ١ ص ٣٦

ولا ذو كيفية، ولا ذو اضافة، ولا موصوف بشىء من باقى المعقولات، ولا ذو جنس، ولا ذو فصل، ولا ذو تشخيص، ولا ذو خاصة، ولا ذو عرض عام، ولا متحرك، ولا موصوف بشىء مما أن يكون واحدا بالحقيقة، فهو اذن وحد فقط محض، أعنى لا شىء غير وحدة، و كل واحد غيره فمتكثر،،(١) ويصف الكندى البارى سبحانه وتعالى بصفات الايجاب أيضا، وذلك مثل قوله: ”هذا من تدبير حكيم عليم قوى جواد عالم متقن لما صنع -،،(٢) ولكن يبدو من مبالغته فى تنزيهه وتوصيفه بصفات السلب أنه يرجعها الى صفات السلب مثل المعتزلة، فابو الهنيل مثلا يفسر صفات الايجاب بالمعانى السلبية، ويرى أنه ”اذا قلت أن الله عالم أثبت له علما هو الله، ونفيت عن الله جهلا، واذا قلت قادرا نفيت عن الله عجزا، وأثبت له قدرة هي الله، فالله عالم بعلم هو هو، وهو قادر بقدرة هي هو، وهو حى بحياة هي هو، وكذلك فى سائر الصفات -،،(٣)

وما يقول أبو الهذيل هو مذهب المعتزلة عامة، مثل النظام والجاحظ وغير هم، وستقارن هذا بمذهب الافلاطونية المحدثة ان شاءالله فى فصل الصفات، ومن أجل هذه المظاهر الاعتزالية وغيرها فى رسائله يقول الدكتور عبد الهادى أبو ريدة: ”ان تفكيره يتحرك فى التيار المعتزلى الكبير فى عصره، دون أن يفقد هذا التفكير طابعه الفلسفى القوى، وشخصيته المميزة، وروحه الخاصة -،،(٤) وهكذا نشأ الكندى متكلم معتزليا، ثم وجه اهتمامه الى الفلسفة، فهذب نصوصها

(١) الرسائل ج ١ ص ١٦٠، ص ١١٣

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٦

(٣) الفرق الاسلامية للدكتور البير نصرى نادر ص ٥٤

وانظر ص ١٢ ج ١ مقالات الاشعري

(٤) مقدمة الرسائل ص ٣١

و شرح معضلاتها، وحاول التوفيق بينها وبين الدين، وألف في ميادين شتى،  
وفي جميع العلوم الرائجة في عصره -

### شخصته

مر بنا أن الكندي كان يعيش مرفها ثريا، وكانت له مصنفات في علوم  
كثيرة و متنوعة، وكان من بيت الملوك والأمرء وذا منزلة عند الخلفاء، وبذلك  
كان صاحب امتيازات كثيرة - وكل شخصية لها مثل هذه الامتيازات، لا بد أن  
تكون موضع حسد، فكل ممتاز محسود ممن لم يحذو حذوه، ولذلك يبذل الحاسدون  
جهودهم حتى يتبينوا عيبا ما في الشخصية الممتازة يشفى غليلهم و يطفي نار  
حقدهم، فاذا وجدوا عيبا ضئيلا ضخموه - ولا يخلو انسان بعد الأنبياء من العيوب :  
”و كفى بالمرء نبلا أن تعد معائبه -، فاذا لم يكتشفوا عيبا فيه افتروا عليه ونسبوا  
اليه ما لم يصدر عنه من أقوال وأفعال لينقصوا من قدر هذه الشخصية الممتازة،  
ويحطوا من منزلتها وينزلوها الى مستواهم - فقد قيل عن النبي عليه السلام :  
”ساحر أو مجنون“، واتهم العباقرة في دينهم، وعقلهم وعلمهم حتى . .

قيل أن الاله ذو ولد و قيل أن الرسول قد كهن

وهكذا لا يرى الحاسد الجذع في عينه، و يرى القذى في عين أخيه على

حد تعبير الغزالي - (١)

ولا يتكلم الناس عن عيوب البليد، ولا عن عيوب المفسدين الطغاة،  
بقدر ما يروجون عن العباقرة والممتازين ما يشوه سمعهم . . و ذلك حقد منهم -

(١) قال الامام الغزالي : ”ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين  
أخيه، ولا يرى الجذع في عين نفسه - ”(احياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٢



وعين الرضا عن كل عيب كليلة - ولكن عين السخط تبدى المساويا (١)

ولذلك نرى أن كثيرا من الجهلاء اشتهروا بالعلم، والطغاة بالعدل، والبخلاء بالكرم، والفاسقين بالتقوى، بفضل الدعاية التي يقوم بها أنصارهم وعملاؤهم، فالأذكىاء والعلماء يشتهرون بالجهل والجنون لدى العامة، وذلك لأن العبقرية والذكاء لا تجلب النفع الدينوى بقدر ما تجلب البلاء الى الذكى العبقري، فكم من العباقرة سجنوا وقتلوا وعذبوا، بل وأحرقوا أحياء، ولا ذنب لهم سوى عبقريتهم . . . ولكن أصحاب العقول والذكاء والفظانة لا يتأثرون بالدعاية ولا يصدرن أحكامهم على الشخصيات مستندين فى ذلك الى مجرد دعاية زائفة، وأقوال عملاء، ودس أعداء - وحسب هذه السنة الزائفة فى كل زمان وكل بيئة وكل قوم، اتهم فيلسوفنا باتهامات متناقضة متصاربة : فقيل أنه كان نصرانيا فاسلم، وقيل انه كان يهوديا فاسلم، وقيل أنه كان جاهلا بأسرار المعانى العريية، وقيل أنه حاول ان يجيى بمثل القرآن فعجز عن ذلك، وقيل أنه كان مضرب الأمثال ببخله . . . هكذا اتهم فيلسوفنا باتهامات متنوعة، وليس من واجبنا الدفاع عنه الى درجة تنزيهه عن كل عيب، بل موقفنا هنا هو موقف المحايد المعتدل، لننظر فتميز الحق من الباطل فى هذا الصدد :

اتهم الكندى بالزج بين الاحاد والاسلام، ويدل على ذلك ما قاله المسعودى فى مروج الذهب : "وقد كان يعقوب الكندى يذهب فى نسب يونان الى ما ذكرنا : أنه أخ لثحطان، ويحتج لذلك باخبار يذكرها فى بدء الأشياء و يوردها من حديث الاحاد والأفراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة - وقد رد عليه عبدالله

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ٣٥

بن محمد الناشئ في قصيدة له طويلة، ووكد خلطه نسب يونان بقحطان، على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال :

أبا يوسف انى نظرت فلم أجد      على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا  
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ      بلاهم جميعا لم يجد عند هم عندا  
أتقرن الحادا بدين محمد      لقد جئت شيئا يأخا كنفدة اذا  
وتخلط يونان بقحطان ضلة      لعمرى لقد باعدت بينهما جدا(١)

هكذا يتهمه أبو العباس بان كل آرائه باطلة، وأن محاولة خلطه نسب يونان بقحطان هو اقران للالحاد بالاسلام، ولكنه لو تدبر و تفكر لعرف أنه لا علاقة للالحاد بخطأ عالم في قضية تاريخية ان صح خطؤه، ولا يلزم من خطئه فيها بطلان جميع آرائه - وليس الخلط بين نسب الشعين خلطا بين الالحاد والاسلام لأن الاسلام لا يميز بين قحطان و يونان حين يخاطب البشرية قاطبة -

ويتهمه الجاحظ بالبخل، ويجعله مضرب الامثال في ذلك فيقول : "لا زال يقول للساكن وربما قال للجار: ان في الدار امرأة بها حمل، والوحمى(٢) ربما أسقطت من ريح القدر الطيبه، فاذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة، فان النفس يرد ها اليسير- فان لم تفعل ذلك بعد اعلامى اياك فكفارتك - ان أسقطت - غرة عبد أو أمة، ألزمت نفسك ذلك أم أبيت -

قال : فكان ربما يوافي الى منزله من قصاب السكان والجيران ما يكفيه لآيام، وان كان أكثرهم يفظن و يتغافل - وكان الكندى يقول لعياله : أنتم

(١) فيلسوف العرب ص ٢٢

(٢) الوحم ما تشتهي المرأة أثناء حملها

أحسن حالا من أرباب هذه الضياع، انما لكل بيت منهم لون واحد، و عندكم ألوان - وكان الكندي يشترط على السكان أن يكون له روث الدابة، و بعر الشاة، و نشور العلوقة، وأن لا يخرجوا عظما، ولا يخرجوا كساحة، وأن يكون له نوى التمر، وقشور الرمان، والغرفة من كل قدر نطبخ للحبلى فى بيته، وكان فى ذلك يتنزل عليهم، كانوا لطيبه و افراط بخله و حسن حديثه يحتملون ذلك، (١)

ومن غير المعقول أن يصدق هذا الكلام - الذى هو أقرب الى الهزل منه الى الجد - عن الكندي الذى كان جليس الخلفاء وذا منزلة عندهم، والذى كان من سلالة المنوك والامراء - وليس لهذا القول برهان على صحته، على ما يبدو من أسلوبه سوى أنه اختراع ذهن هذا الأديب الساخر الجاد الهازل - و سبب سخرية الجاحظ من فيلسوفنا يرجعه الأستاذ مصطفى عبدالرزاق الى بعد ما بين طبيعتيهما و أسلوب حياتهما، و الى تناقض قديم بين أهل بلديهما فيقول: "ويظهر أن نوع الحياة التى كان يحيها الكندي الفيلسوف يحكم ما فيها من عزلة وانقطاع عن مجامع الأدباء والعلماء، واتصال بالمترجمين والفلاسفة، وهم غير مسلمين ولا عرب، لم يكن من شأن ذلك أن يجعل الكندي خفيفا على أرواح من يرون فى الحياة غير ما يرى - ولعل هذا هو السر فى أن عمرو بن بحر الجاحظ جعل من الكندي فى كتابه "البخلاء"، موضوع أسعار و فكاهات، (٢)

و يقول أيضا: "لا جرم كان الجاحظ يسخر من الكندي ويشنع عليه لبعده ما بين طباعيهما، و بعد ما بين سبلهما فى الحياة - وكان الجاحظ بصريا، وكان الكندي كوفيا، وبين أهل البلدين عداوة و تنافس، (٣)

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ٣٤ - ٣٥

(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ٣٤ - ٣٥

(٣) نفس المصدر ص ٣٧

و يروى الجاحظ فى بخل فيلسوفنا قصة أخرى فيقول: "وحدثنى ابن نهيوى قال: تغديت يوما عند الكندى فدخل عليه رجل كان له جارا، وكان لى صديقا، ظم يعرض عليه الطعام و نحن ناكل- وكان أبخل من خلق الله- قال: فاستحييت منه فقلت له: سبحان الله- لو دنوت فاصبت معنا مما ناكل- قال: قد والله فعلت- فقال الكندى: ما بعد الله شىء- قال عمرو: فكشفه والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه ولو مد يده لكان كافرا، وكان قد جعل مع الله شيئا-، (١)

كان هذا هو موقف الجاحظ من فيلسوف العرب، سخرمه - دون ما خوف من انتقاسه و بطشه - بما كان يروى من أحاديث غير صحيحة، والدليل على ذلك أنه لا يتهم الكندى بالبخل فقط، بل يتهمه بالجهل أيضا، وقد صنف فى ذلك رسالة - يقول الأستاذ مصطفى عبدالرزاق: "ولم يكتف الجاحظ باشاعته حديث البخل مكبرا عن الكندى فى كتابه "البخلاء"، بل ألف رسالة فى فرط جهل الكندى -، (٢)

فكما أن اتهامه اياه بالجهل لا أساس له سوى اختلاف طبيعتهما، لأن الكندى كان فيلسوف زمانه، وقل أن تجتمع مثل معارفه فى شخص واحد، فكيف يمكن أن يصدق عاقل اتهام الجاحظ اياه بالجهل؟ كذلك اتهامه بالبخل سببهذه المبالغة - لا يمكن تصديقه، وأنه يرجع أيضا الى الاختلاف الطبيعى بينهما - ولو اتهم الجاحظ الكندى بالبخل بطريقة جدية وبلا مبالغة، لكان ذلك

(١) كتاب البخلاء للجاحظ ص ٦٥

(٢) فيلسوف العرب ص ٣٨

موضع نظر و بحث، ولكنه جاء بحكايات هزلية ساخرة خيالية يتضح للناظر اختراعها  
لأول وهلة - (١)

والجاحظ ينفرد في توجيه هذا الاتهام الى الكندي - فقد يكون باقى  
المصنفين الذين ذكروا بخله قد نقلوا ذلك عنه - وفي ذلك يقول الأستاذ مصطفى  
عبدالرزاق : "ولعل تشنيع الجاحظ هو أساس لكل ما تناقل الرواة من بعده -  
فاين النديم صاحب الفهرست يقول عن الكندي : وكان بخيلا - و يقول ابن  
نباتة فى سرح العيون : "و من نوادره وكلامه فى البخل كان يقول : انك تقول  
للسائل : لا، ورأسك الى فوقك، و من ذل العطاء أنك تقول : نعم، وأنت رأسك  
الى أسفل - وكان يقول : سماع الغناء برسام حاد، لأن الانسان يسمع فيطرب  
فينفتى فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت - و من وصيته لولده : "يا بنى، كن مع  
الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وناخذ من شيئهم، فان مالك اذا خرج عن  
يدك لم يعد اليك - واعلم أن الدينار محموم، فاذا صرقته مات - واعلم أنه ليس  
شىء أسرع فناء من الدينار اذا كسر، والقرطاس اذا نشر، و مثل الدرهم كممثل  
الطير الذى هو لك مادام فى يدك، فاذا ند عنك سار لغيرك، وقال المتلمس :  
قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد  
لحفظ المال خير من فناه و سير فى البلاد بغير زاد  
و أعرف هنا بيتا بيت أكثر من مائة ألف فى المساجد، وهو قول القائل :  
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا  
فاحذر يا بنى أن تلحق بهم -" (٢)

(١) ثم انه لا يسخر من الكندي فحسب، بل يسخر من كثير من أهل البلدان و اشخصيات و هل من  
المعقول أن يكون جميع أهل الخراسان و مرو كما ذكرهم الجاحظ فى البغلا؟

(٢) فيلسوف العرب ص ٣٨

وروى ابن أبي أصيبعة : "قال الكندي : يا بني الأرب، والأخ فح،  
والعلم غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب، وقول : لا - يصرف  
البلا، وقول : نعم - يزيل النعم، وجماع الغناء برسام حاد، لأن الانسان يسمع  
فيطرب، و ينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت، والدينار محموم، فان صرفته  
مات، والدينار محبوس، فان أخرجته فر، والناس سخرة، فخذ شيئهم واحفظ شيئك -،  
وقد شك ابن أبي أصيبعة في صحة هذه الرواية عن الكندي، ولذلك  
عقب عليها بقوله : "وان كانت هذه من وصية الكندي، فقد صدق ما  
حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه، فانه قال : ان الكندي كان بخيلا -، (١)  
فاذا قارنا هذه الروايات التي تنهم الكندي بالوصية بالبخل، بما نجد في  
رسائله من الوصايا بترك الاعتناء بالمادة والحسيات، ويوصفه اياها بانها لا  
تستحق الحزن بفواتها وقد انها - ناكدا من خرافة هذه الروايات التي اصطفعها  
خيال الحاقدين و وهمهم اينا لوا من شخصية فيلسوف العرب، فهذا هو الكندي  
المتهم بالبخل يوصينا بالزهد في الحسيات والأشور المادية في قوله عن الانسان  
وشقائه بسبب المادة : "انه لما زيد الفضيلة التي ملك بها على جميع الحيوان،  
وصير لبيها له سائسا و مدبرا، جهل بتدبير نفسه، وهذه أمانة عدم العقل، و ينبغي  
أن نستحي من أن نكون عدساء العقول، فانه لما زيد التمييز النطقى أراد أن يقتنى  
اشياء كثيرة لا حاجة له اليها في اقامة ذاة ، وصلاح عيشه من تلوين الأ طعمة  
والمناظر من الحيوانات و غير الحيوانات، والتفتيش عنه لمشاهدته،  
وتزويقها، وكذلك مسموعاته، وشموماته الشاغلان له عن منافعه الحقيقية الخارجة له  
عن راحته الدنياوية، فان هذه جميعا مكسبات التعب في طلبها، والألم لفقدها،  
الحزمه على فوتها، فان مع كل مفقود من المرادات مصيبة، و مع كل غائب حسرة

(١) عيون الأنباء ص ٢٠٩

وأسف، و مع ترقب كل معدوم حزن و قلق وبعد كل أمن خوف، لأن الخائف مشغول، مزعج معقول، ولذلك ما نقول من شغلته نفسه بتزيين الخارجات عنه عدم حياته الدائمة، ويكدر عليه عيشه في حياته الزائلة، و كثرت أسقامه و لم تنعدم آلامه -، (١)

تبين لنا من هذا النص بوضوح تام أن الكندي يعتبر أسباب الترف خارجة عن حاجات الانسان، ويعتبر الحسيات مصدر القلق والانشغال بالماديات منافيا لمنافعه الحقيقية، وهي الاعتناء بالروحانيات، ويرى أن الحرص على الماديات يذهب براحة الانسان و طمأنينته، و الذى شغل نفسه بالماديات و الحسيات، فانه قد أضاع حياته الأبدية في نظره - و بعد اطلعنا على هذا النص، هل لنا أن تصدق تلك الروايات الخيالية والخرافية في بخله واعتناؤه بالمادة الى هذا الحد غير المعقول ؟ ؟

و يقول الكندي في نفس المعنى ما نصه : "فينبغي اذا أن نحرص على أن نكون سعداء، وأن نخترس من أن نكون أشقياء، بل تكون ارادتنا و محبوباتنا ما تمهيا لنا، ولا نأسف على فائتة، ولا نتطلب غير المتهيا من المحسوسات، بل نكون اذا شاهدنا الأشياء التي يتمتع بها الناس من المحبوبات في العقل، أعنى قدر ما بالنفس اليه الحاجة في تثبيت صورتها أيام مدتها المقسومة لها، واثمار مثلها، وما دفع عنها الألم، وأفادها الراحة تناولناه بالأمر الأجل بقدر الحاجة، ولم نتلقها قبل ممارستها اياها، ومشاهدتنا بئس، ولم نتبع أنفسنا بعد انصرافها عناء تأسف ولا اشغال فكر، فان هذه من أخلاق الملوك الأجلة، فانهم لا يتلقون مقبلا، ولا يشيعون ظاعنا، بل يتمتعون بكل ما شاهدتهم باركن فعل، و ظهر

(١) رسالة الكندي في دفع الأحران ص ١١٩ - ١٢٠

استغناء، فاما ضد ذلك فمن أخلاق صغار العامة، ذوى الدناة والشره وشدة الحرص، فانهم يتلقون كل مقبل، ويشيعون كل ظاعن، و حقيق بذوى العقول الا يختاروا أخلاق صغار العامة ودناة تها على أخلاق أجلة الملوك-،،(١)

هذا النص وأمثاله فى رسالة الكندى فى دفع الأُحزان تؤكد لنا بانه كان مؤمنا بالزهد الاسلامى، وكان يوصى بالاعتدال فى أمر الحسيات واللذائذ، كما كان يعتبر التهافت والاقبال عليها ككية ضارا أو دناة و شرها - و بعد كل هذا لا يمكن لنا تصديق ما جاء فى وصيته لابنه و حثه اياه على الحرص على المال والبخل به - وهل يعقل ان يوصى عاقل ابنه بما يراه من الدناة و خلق صغار الناس من العامة ؟

وعقب أستاذنا الدكتور عبدالهادى أبو ريدة على حكايات بخله التى رواها الجاحظ، و على وصاياه التى رواها ابن أبى أصيبعة بقوله : ”و يظهر أن فى ذلك ”البخل،، كثيرا جدا من الخيال الأدبى، أو من التشنيع، على سبيل التماس الطرائف حول الشخصيات الكبيرة، حيث لا يصح أن تنتظر- لأننا لانعلم أن الكندى كان له أبناء كثيرون، ولا يذكر الجاحظ- مع أنه كان معاصرا للكندى- تلك الوصايا المشهورة الماثورة عنه فى الحرص على المال، مما نجده عند ابن أبى أصيبعة- و هذا وحده هو الذى انفرد براويتها دون سائر المؤلفين المتقدمين - و يظهر أن من بعده قد أخذ عنه - ”ثم يبين عذر الكندى فى حب المال والحرص عليه بقواه : ”و من الجائز أن الكندى كان محبا للمال لأجل الاستغناء و رفع المهمة عن سؤال الناس، أو أنه كان يتكلم فى قيمته وأهمية الحرص عليه بحسب

(١) رسالة الكندى فى دفع الأُحزان ص ١١١ ط - بغداد تخريج الأستاذ محمد كاظم الطريحي



ما يقتضيه تقرير حكمة الحياة العملية تقريرا موضوعيا واقعيا، لا على سبيل البخل الشخصي الحقيقي، فكان فهم ذلك فهما غير صحيح هو السبب في أن نسب إليه ما يحكيه الجاحظ، و في أن نسبت إليه هذه العبارات التي يندهش الباحث أن تصدر عن عربي من بيت سلك قديم، و مجد مؤثّل، مشهور بالكرم، و عن فيلسوف صميم، لا نستطيع أن نتصور بسهولة أن يجعل للخيرات المادية من القيمة ما يجعله لها البخلاء الحقيقيون الذين لا يعرفون قدر القيم العقلية والروحية العليا، بل ان الكندي يزهد الناس في الماديات، و يقول - كما يحكى عنه البيهقي : لا تغتر بمال وان كثر-، (١)

فالدكتور عبدالهادي أبو ريفة يرى أن نسبة البخل الى الكندي كانت نتيجة سوء الفهم - وهناك رأى آخر في هذا الصدد - يقول أن ذلك كان طبيعيا بالنسبة لشخص عبقرى كالكندي، فالبخل لا ينقص من شأنه، بل يقوم دليلا على عبقريته - يقول الأستاذ لطفى جمعة : "أما بخل الكندي أو التشدد في نفقة المال، فسجية معظم الأدياء والعلماء في الشرق و الغرب، ولهم في ذلك أخبار و نوادر- قد ذكرها مؤلف كتاب "العبقرية والجنون"، وقال ان بخل العلماء من الأمراض النفسية اللاصقة بالنبوغ -، (٢)

ولكننا لا نستطيع أن نستسيخ هذا الرأي، فالبخل قضية أخلاقية، والاخلاق تقبل التغير بترويض النفس، وبالتالي ليست سجية لا صفة بشخص ما أو ملازمة له، والا لكان الأمر يالانفاق والنهي عن البخل والاسراف في القرآن الكريم موجها الى العاجز، وهذا محال من الحكيم الخبير- قال تعالى : "ولا تجعل يدك مغلولة

(١) مقدمة الرسائل ص ١٥ - ١٦

(٢) تاريخ الفلاسفة ص ١

إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط،، سورة ١٧ آية ٢٩، وقال : ”ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون،، سورة ٦٤ آية ١٦، وقال : ”لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون،،، سورة ٢ آية ٩٢، وغير ذلك -

قال الامام الغزالي : ”فتقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”حسنوا أخلاقكم،، ، وكيف ينكر هذا في حق الادمى، و تغير خلق البهيمة يمكن : اذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الاثر، والكلب من شره الاكل الى التادب والاساك والتخية، والفرس من الجماح الى السلاسة . الخ،،(١) فاذن لا يكون يخل الكندى لازمة من لوازم عبقريته، بل ان هذه العبقرية تدعوه الى علاج هذا المرض المويق لو كان فى نفسه -

ونذكر هنا بعض حكم الكندى، و بعض ما قيل من عدم اعتنائه بالحسيات ليتبين لنا بوضوح براءته من هذه التهمة - يقول السجستاني : ”وقال له رجل وكان جده أميراً على الكوفة، ما أشد توانيك فى طلب المعاش، فقال : لو عرفت المعاش لنسبتنى الى شدة الحرص عليه - قال : ما نراك تحضر مواضع الطلب من أبواب السلطان و مجامع التجار و مواضع الحرث - فقال : تلك مواضع يغلبنى عليها أنت و نظراوك على المطلوب - فاما مواضع طلبتى فحيث أغلب عليه المتغلبين على سطلوبى - قال ومن يغلب المتغلبين ؟ قال : من لا تصل أيدى المتغلبين الى الاستيلاء عليه واستلابه قنيتته، و يقدر خوله وأتباعه على استلاب المتغلبين قنيتهم، قال : فاين الخول والاتباع ؟ لا نراهم ولا يراهم غيرنا - قال : ما أكثر

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٤ •

ما شاهد وكم فى تقنص واسر وايشاق و قتل للناس والحيوان - وانك لتتكلم الان  
وأنت فى ربة أحدهم -،، (١)

هذه الرواية تدل على استغنائه عن المال و عدم حرصه عليه - و من  
حكم الكندى ما يلى : الزاهد هو الواجد - من زهد فى الدنيا ملكها و من حرص  
عليها أهلكته - من زهد فى الدنيا لم تفته، و من حرص عليها أتعبته - من اتخذ  
الحرص شعارا صرخته الفوت مرارا - من حسن قنوعه دام ريبه - القنوع خير من  
الخضوع - من باع الطمع بالياس لم يستظل عليه الناس - من قل قنوعه كثر  
خضوعه - من لم يكن قنعا لم يزل جزعا - من لزم الطمع لزمه الجزع - من لم  
يزل الطمع له راكبا لم يزل الفقر له صاحبا -

وقيل للكندى : فلان غنى، فقال : أعلم أن له مالا، ولكنى لا أعلمه غنيا  
أم لا، لاني لا أدري كيف يعمل فى ماله - ما أقبح البخل بكل ذى عقل -  
البخيل أبدا ذليل - البخيل غير أصيل - من اشتد بخله قل أكله - وقال له قائل  
يوما : من أشقى الناس فى دنياه؟ فقال من كانت ارادة نفسه اقتناء الخارجات  
عنه، فانه فى كل حال يفوته به مطلوب و يعوزه به محبوب، و مع كل فائت حسرة،  
و مع كل مفقود معيبة، وهذا ولدان الحزن والأسف اللذان هما ضد الفرح والاعتباط،  
والأضداد لا توافق فى شىء فمتى كان انسان حزينا أسفا بطل فرحه واعتباطه،  
و من كان حزينا أسفا فهو نكد الحياة، و من نكدت حياته فهو شقى فى دنياه -  
فقال له : من أشقى فى الدار الآخرة؟ فقال : من لم يعرف خالقه، وما يقرب منه  
والعمل بذلك -

وقال له قائل يوما : من أبخل الناس؟ فقال من بخل بما لا ينقصه جوده

(١) الكندى نيلسوف العرب الاول لجورج عطية ص ٢٢٢

به على غيره ولا يخرج من ملكه - فقال له : وما الذى لا يخرج من ملكه ولا ينقصه جوده به على غيره؟ فقال له : العلم، فان الجود به غير ناقص منه ولا يخرج من ملكنا، بل يكثر به ثماره و يبقى آثاره بما لنا فى ذلك فى الدار الآخرة من جزيل الثواب فان من ثمر الخير خيرا والخير محمود المنقلب الى دار القرار، و من حسنت آثاره فى دنياه محمود والمحمود مسرف الذكر، فثمره الجود بالعلم مسرف الدنيا فى الآخرة . . فقال له من أجود الناس؟ فقال من جاد بما فيه التحصن من أفات النفسانية، والترقى الى غاية شرف الفضيلة الانسانية - فقال له وما ذلك؟ فقال : العلم الذى به الاحتراس من آفات الأنفس والأجساد التى للانسان الاحتراس منها، واقتناء الفضائل الانسانية التى كل الخير فيها -، (١)

وبعد أن اطلعنا على ما قيل عن استغناء الكندى و عدم اهتمامه بامر المعاش، و كذلك بعد تعرفنا على أقوال الكندى فى ذم البخل و مديح الجود، لا نستطيع أن نصدق تلك الروايات الخرافية الهزلية التى رواها الجاحظ فى بخل الكندى و حرصه على المال، وما ذكر غيره من الوصايا فى البخل على الماوة -

و لسنا بحاجة الى التدليل على بطلان القول ببخل الكندى، لأننا لا نجد نصا تاريخيا سليما يصفه بذلك، ولو وجدنا رواية صحيحة تثبت ما قيل عنه، لما كنا بحاجة الى تنزيهه لأنه انسان - يمكن أن يكون مصابا بالبخل، ولكن مصدر نسبة البخل اليه هو الجاحظ كما بينا سابقا، و يظهر من أسلوبه أنه يسخر من الكندى دون أن يبين صفة من صفاته كمؤرخ أو مترجم لشخصيته -

وإذا كان الجاحظ قد سخر من فيلسوفنا، فقد تعرض هو الآخر للسخرية، ولم يسلم من لسان الأدبا - ع فقد ذكر البغدادي فى فضائح الجاحظ البتين التالين :

(١) الكندى فيلسوف العرب الأول لجورج عطية ص ٢٢٣ - ٢٣٧

لو يمسح الخنزير مسحا ثانيا ما كان الا دون قبح الجاحظ  
رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ(١)

و هناك رواية أخرى تسم شخصية الكندي : يقول الأستاذ مصطفى عبد  
الرزاق : ”ولا يكتفى ابن نباتة بما نسبه من الوصايا السخيفة للكندي، بل هو  
يجعل فيلسوف الاسلام رجلا أحمق متكلفا سخيفا، فهو يروى في كتابه : ”وقال  
يوما لجارية كان يهواها : انى أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبى  
المودات مؤذونات بعدم المعقولات - فنظرت اليه - وكان ذا لحية طويلة - فقالت :  
اليه اللحي المسترخيات على صدور الركاقات محتاجة الى مواسى الحالقات -،، هكذا  
يبلغ بالتاريخ حدا، ويشوه من خلق الكندي ومن عقله، وقد كان الرجل فى  
خلقه وفى عقله من أعظم ما عرف البشر- يقول ”ده بور“ فى دائرة المعارف  
الاسلامية عند ترجمته للكندي : ان كوردان ( ) وهو فيلسوف من  
فلاسفة النهضة يعد الكندي واحدا من اثنى عشرهم أنفذ الناس، وأنه كان فى  
القرون الوسطى يعتبر واحدا من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية -،،(٢)

هكذا يرفض الأستاذ مصطفى عبدالرزاق هذه الرواية السابقة لأنها -  
فى رأيه - تجعل من فيلسوف الاسلام رجلا أحمق متكلفا سخيفا - ولكن الدكتور  
محمد عبد الهادى أبو ريدة لا يرى باسا فى ذلك، فيقول معقبا عليها : ”ولا معنى  
لأن نندهش من أن الكندي - على اشتغاله بالفلسفة و علومها، و مع تعلقه  
بخيرات العقل والروح، و على حرصه على المال كما يحكى عنه - كان لا يخلو

(١) الفرق بين الفرق لأبى منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادى ص ١٠٧

(٢) فيلسوف العرب ص ٣٩

من أن تداعب قلبه عواطف الحب والهوى، لأنه لم يقل أحد أن المتفلسف من شأنه أن يغير جوهر الطبيعة الانسانية بحيث يستاصل جذور العواطف ويجتثها من القلب الادسي الحي - و ليس في كلام الكندي حمق أو تكلف مسرف في اللفظ بمقدار ما فيه من ظرف متزن و من أسلوب الانسان المتفلسف الذي ليس له سوى الثروة العقلية عندما يريد أن يعبر عن حال العاشق، وما يتعرض له وما يخشاه من نوازل العشق - وقد يكون قال هذه الكلمات حقيقة على سبيل الظرف في المداعبة لمن يعرف أنه يستطيع أن يجيب عنها بمداعبة مثلها -، (١)

والحق أن الفلسفة والتفلسف لا تجرد الانسان من العواطف ولكنها تهذبها، فلا يعقل أن يظهر فيلسوف الاسلام عواطفه بأسلوب رخيص مناف لشخصية موقورة مثل شخصية الكندي، ولا يعقل أن تجترى الجارية على جليس الملوك و فيلسوف العرب بهذا الكلام الساخر الذي يجعل الكندي موضع سخرية -

فالجاحظ و ابن نباتة لا يصفان شخصية الكندي بقدر ما يسخران منه، أما شخصيته الواقعية فهي كما يصورها الأستاذ مصطفى عبدالرزاق بقوله :  
 " كان الكندي رجلاً منصرفاً الى جد الحياة، عاكفاً على الحكمة ينظر فيها التماساً لكمال نفسه، ويقوم باول محاولة لتوطيئها ومدافعة ما يعوق قومه عن الاقبال عليها من العصبية الجنسية والعصبية الدينية - وقد يكون ذهابه الى أن يونان بنو عمومة للعرب من وسائله لتهدئة تأراه العرب على علوم العجم، كما كانت له وسائل للتوفيق بين الدين والعلوم الحكمية مدافعة لنفرة المسلمين من هذه العلوم - ويقول ظهير الدين البيهقي : ،، وقد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات -،،

كان الكندي هادئاً في حياته، أخذاً بأسباب الاقتصاد والنظام و سياسة النفس ومجاهدة شهواتها - ومن حكمه الماثورة : ”اعص الهوى وأطع ما شئت“، ”لا“ تنجو مما تكرهه حتى تمتنع عن كثير مما تحب و تريد“، ”ان النظر في كتب الحكمة اعتياد النفوس الناطقة“، وروى الشهرزوري : ”من ملك نفسه ملك المملكة العظمى، واستغنى عن المؤن، ومن كان كذلك ارتفع عنه الذم، وحمد كل واحد، وطاب عيشه، ولو أفسد أحد أحسن أعضائه كان مذموماً، وأشرف الأعضاء الدماغ، ومنه الحس والحركة وسائر الأفعال الشريفة - و مستعملوا السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم، و متى توالى السكر على بدن مرض دماغه، واشتد ضعفه، و بعد عن القوة الممتدة للأفعال الارادية والنفسانية“، (١)